من سير أعلام الشهداء

٣٣

[أبو الشهيد - أبو عمار]

أبو الشهيد – أبو عمار

هو صاحب الهمّة العالية، والنّفس الأبيّة، والذي إذا إقتنع أبدع، وإذا كره أوقع، يحسده النّشاط على حمّتـه وجتساً الكسل عند رؤيته، صاحب العلم والسّبق في الجهاد والرباطـ، المهاجر إلى الله بأهله وولده، والبـائع نفسه وماله لله وبالله، أعني " أبا بكر السوري الحلبي "، والمتسمى بأرض الرافدين بـ "أبي عمار السوري".

أبقى التّشهيد " رحمه الله " مبكراً صدق منهج المجاهدين وعلو منزلتهم ، وبالمقابل أدرك وعاين سفالة منـهج العلمانيين وإحطاط مذاهبهم ومشاربهم وسوء طويتهم وخبث مقصدهم، وعاين كما عاين أمثاله مـن أولي البصائرعمالة طواغيت العرب وإنبطاح حقولهم أمام التكبر والتجبر الصهيوني الصليبي، فالتحق مبكـراً مـع جماعة أبي عائشة بلبنان بل كان من مؤسسيها وحاول معهم فعل شيء يرفع الهمّة ببلاد الشام ولكن مشيئة الله غالبة، فقد اكتُشف أمرهم مبكرا فهرب بأهله إلى الأردن ثم التحق بأفغانستان، وهناك عمل مع منظمة " وفا " الخيرية – هي منظمة أسسها بعض شيوخ الجزيرة لغرض العمل الخيري -.

ثم رحل من أفغانستان إلى باكستان ومنها إلى سوريا ثم قدم بأهله إلى العراق، وفي العراق بدأت تتكشـف حقيقة القائد وقدراته الفذه وطموحه العالي وذهنه الوقاد.
فما إن وضعت الحرب أوزارها مع البعثية حتى بدأ يدب الأرض بأقدام أرسخ من الجبال نحو العزّة والفداء، فاتصل بالقائد الحبيب أبي مصعب الزرقاوي " رحمه الله " وبدأ معه أول رحلات الجهاد، وكـان ذلـك في مدينة الفلوجة وقبل أن تبرز كرمز للجهاد، إلا أن عيون عملاء وجواسيس الأمريكان رصدته، وقبل الإيقاع به كان الشهيد قد حط ببغداد وهناك عملتُ معه، أدبٌ وتواضعٌ ورحمةٌ وخدمةٌ وكل ما يمكن أن تحبه في أخ، فشارك في التحضير لعدة عمليات إستشهادية كان منها أول عملية ضد عملاء الأمريكان مـن الشـرطة في منطقة الراشدية وبمشاركة الأخ الشهيد الحبيب الملا تامر " رحمه الله "، وكـان الأخ الأستشـهادي هـو عبدالرحمن المغربي، ولهذا الأخ قصة عجيبة فلا تسل عن التواضع والعبادة والدين، وأعجب ما في الموضـوع

أن الأخ كان لا يحسن أبداً قيادة السيارة وكان يبكي يريد أن ينفذ عملية إستشهادية ويدعو ويتضـــرع إلى الله، ولما أردنا أن نختبره في القيادة، كان الحائط هو أول أهدافه، فتم استبعاده. فبكى وبكى حـــتى حزنا جميعاً، ولما جاء الملا ثامر لزيارة أبي عمار عرف السبب ، قال قم معي الآن وأخذه يعلمه القيادة وخـــلال ثلاثة أيام وبمعدل ساعة إلى ساعتين في اليوم أحسن الحبيب القيادة وكأنه يعود منذ سنين، ونفذ عملية مـــن أصعب العمليات والتي تتطلب مهارة عالية في القيادة وليعلمنا درساً مبكراً، أن تقوى الله وصـــدق العزيمـــة والدعاء والإبتهال إلى من بيده مقاليد الأمور هي خير معين على بلوغ المراد.

عودة إلى الشهيد الحبيب أبي عمار، ولما اضطررنا إلى مغادرة بغداد نظراً لأمور كثيرة، غادرت وغادر معي إلى نواحي الفلوجة ثم دخلنا إليها تقريباً سوياً، ثم شاءت الأقدار أن أكون معه في بيت عمر حديـــد وقـــت اقتحام الفلوجة الأولى، وخرج كما خرجت بلا سلاح، وغنم كما غنمت. ثم تقدم الشهيد البطـــل باتجـــاه الجولان على غير تخطيط مسبق ووجدنا أنفسنا في حي الأكراد عند المدرسة، وهناك حاولت عدّة دبابـــات التقدم لكن الأخ البطل " سالم " تقدم فدمر أولها ثم تابعوا التقدم فدمّر الثانية الأخ " محمـــد "، وفي تلـــك الأثناء جاء الطيران السمتي فأول من بدأ أو كان من أوائل من بدأ إطلاق النار تجاهها الشـــهيد أبي عمـــار بسلاحه الآر بي جي الذي كان معه، وبعدها أمطر جميع الأخوة السمتيه بما تيسر معهم من سلاح، وشوهد على إثره دخان كثيف ينبعث من مؤخرة الطائرة فكبّر أبو عمار وكبّر كل من حوله وأخذتُ أعانقه ونتعانق جميعاً، فها هو العدو الأكبر يتهاوى أمام أعيننا، الآن جيّد أخطر سلاح ضدنا الطيران السمتي، تجرئنا عليـــه وكانت هذه أول مرة في العراق يتجرأ المجاهدون على الطيران ولتصبح بعد ذلك عادة الأبطـــال في العـــراق لدرجة أنهم في بعض الأحيان كانوا يتمنون قدومها وعرف العدو ذلك بعد عدة مروحيات سقطت فما عاد يرسل غربانه لتقع في شبكة الصيّاد.

ثم تقدم الشهيد وتقدمت معه باتجاه " علوة المعصر " بالجولان وهناك قال لي هو والأخوة: أنت أميرنا، قلت له: لا، أنا لا أعرف المدينة جيداً ولا أبي يمكن الدفاع والهجوم، لكن أنت يا أبا عمار سكنت بهـــا وأنـــت

الأمير وأنا معك أخ وخادم ، فرفض ، وأصررت فوافق، ومضينا نرتب المجموعات ونرفع المعنويات وكـان لأبي عمار في ذلك الحظ الأوفر والنصيب الأكبر فكان حقاً صاحب همة عالية وتكبيرة تزرع الثقة في نفـس الجبان.

فكان إذا هجم العدو من مكان يدفع في الأخوة دفعاً، " تقدم يا بطل- من هناك يا أسد- الله أكبر أصبـت الهدف – هكذا قتال الشهداء"، ونحو ذلك من التشجيع ورفع الهمة مع حرص على إخوانه وعدم وجـود إي معصية في وسطنا. وفي أحد الليالي الحالكة صبّ العدو نيران حقده وحسده علـى الجميـع، فأُصبـتُ وأُصيبَ الكثير من الأخوة وتقدم العدو إلى مداخل المدينة واحتل حي الأكراد، لكن أبا عمار كـان نعـم الرجل في وقت الشدائد، فما وهن وما ضعف بل شد وكبّر - وإلى جانبه إبنه عمار – يجر سلاحه ويقاتل بجانب أبيه ورفض الذهاب إلى أمه، حيث كانت المرأة من القلائل اللاتي رفضن ترك المدينة، فصبرت ووقفت مع المجاهدين، تخبز وتطهي وتغسل الملابس لهم، وذلك في بيت القائد عمر حديد مع أمه وإخوانه، أسأل الله أن يحفظهم جميعاً.

ثم رأى أبو عمار أن يطهر حي الجولان من المعاصي والذنوب فمنع أن يجاهد فيه كل شـارب سـجائر أو يدخله، وكل غريب يدخل الحي ليتحقق مما يسأله من أين أتى؟ ومن أرسلك؟ ومن تعرف؟ ولماذا جئـت؟ وإلى غير ذلك حتى طهر الحي تماماً من الجواسيس فصار يُضرب به المثل في التنظيم والشجاعة والنكايـة في العدو. وشاءت الأقدار أن يحاول العدو اقتحام المدينة من جهة السكة، أي من جهة حي الجولان، لكن أبـا عمار وإخوانه كانوا له بالمرصاد فصدوهم وأرهقوهم وأذكر أنه في آخر حملات هذا العدو بدأ هجومه عند أذان الفجر فتقدم القناصة ثم الدبابات وتم صد أول هجماته وتدمير دبابة له، فتوقفوا ساعة ثم أعادوا الكـرة فتم تدمير أخرى، ثم رجعوا وتوقفوا ساعة، ثم أعادوا الكرّة فتم تدمير أخرى، ثم رجعوا وتوقفوا سـاعة ثم تقدموا ثالثة وكان الإعياء قد بلغ بنا كل مبلغ وقاربت الساعة من الثالثة عصراً وأوشك سلاحنا على النفاد وكثرت الجراح بلا شهداء والحمد لله. فتم دحره وتدمير بيت كان به القناصة، وأذكر ساعتها أن أبا عمار قال: قم شجّع الأخوة فما عدت أستطيع القيام، فقلت قم أنت والله ما أستطيع، وهكذا كان حالنـا مـن

التعب والإرهاق واندحر العدو في هذا اليوم، وما عاد لمثلها والحمد لله. وصار حي الخولان مضرب المثل في الشجاعة وحق الترتيب وكان لأبي عمار بعد الله الفضل الكبير في ذلك.

ثم انقضت الفلوجة الأولى وبدأ أبو عمار ترتيب أوضاع المدينة مع إخوانه إلا أنه التفت لأمر اخر وهو أمر العمل الخارجي، وهكذا كان حاله مع الأخوة، وشارك أثناء ذلك في عدة عمليات كان منها ضد الـ C.I.A على طريق المطار ببغداد وعدة عمليات ضد الشرطة.

و في أثناء ذلك اتخذ الأخوة قرار اقتحام سجن أبي غريب، فأعد الأخوة العدة لذلك وتمت العملية بقيادة الشهيد أبي محمد اللبناني وذهب الأخوة إلى الهدف وأحاطوا به، إلا أن تأخر السيارات الإستشهادية وعدم قيام جماعة الصواريخ بالواجب أدى إلى إلغاء العملية بعد أن حاصر الأخوة الهدف لمدة ربع ساعة وعاد الشباب، وفي أثناء ذلك اتخذ الأخوة قرار العودة مرة ثانية إلى الهدف وذلك بعد خمسة أيام من المرة الأولى وذلك لأسباب منها :

١. الخوف من أن يزيد العدو تحصيناته على الهدف.

٢. مفاجأة العدو والصديق على حد سواء إذ أنه من الصعب تصور أن الأخوة يعيدون الكرة خلال هذه الفترة البسيطة.

و أخيراً وُجِدَ أبو عمار بعد ثلاثة أيام على بُعد مترين في الأرض من أثر الهدف ولم يتغير منه شيء، بل كان كأنّه مات من لحظات ونُقل ليدفن بالقرب من إخوانه في مقبرة الشّهداء، وليشهدهم أنه ما تخلف بعدهم، ففقدت المدينة بفقده أحد أهم أبطالها ورجالها، وليترك بعده شبلاً وأسداً ليتم الطريق بعده هو ابنه عمار.

ابن الشهيد" عمار"

انتقل الشهيد إلى جوار إخوانه في جنات النعيم – نحسبهم والله حسيبهم – وترك خمسة أبناء ؛ أربعة ذكور وبنية، كبيرهم عمار، له من العمر أربعة عشر عاماً، فرحت به أمه لأنه مضى على نهج أبيه، فالولد ابن الوالد يعشق البارود عوداً والغبار عبقاً وذكت أمه هذه الروح فيه، ومضى مع أعمامه يحرس ويتدرب وخاصة على الهاون مع عمه أبي عمر.

و مضت أحداث الفلوجة الثانية تقترب وبدأت العوائل تخرج من الفلوجة، الرجال والنساء على حد سواء، لكن عمار وأمه رفضا ذلك بإصرار عجيب، وكانت أم عمار قد رأت رؤيا قبل مقتـــل زوجهـــا، رأت أن زوجها يرزق الشهادة في الشهر التاسع وتلد ولداً وبالفعل وفي منتصف الشهر التاسع بالضبط قُتل أبو عمار مع إخوانه شهيداً نحسبه والله حسيبه، وحان وقت ولادة الصغير، وعلى الرغم من ضيق الوضع في الفلوجـــة وشدة القصف وعنف المواجهات والتي بلغت ذروتها من قبل رمضان بأسبوعين، إلا أن أم عمـــار رفضـــت الخروج وقالت أموت هنا في أرض الجهاد بين أخواني ولا أخرج، ولما ذهبت إلى الطبيبة تبين أنها لا بد مـــن فحوصات معينة وقد تضع بعملية قيصرية ومع الإلحاح والضغط وافقت على الذهاب إلى بغداد ولكن كانت المفاجأة أنها وبعدما وضعت بثلاثة أيام وفي أثناء نفاسها رجعت المرأة إلى الفلوجة لتقر كما قالت في الأرض التي عشقها زوجها ومات فيها مع إخوانه المجاهدين، وتطورت الأوضاع إلى حد كبير وصار القصف يطال الأُسَر الآمنة، وبدأت ملامح جريمة المحتل تظهر لكل أعمى وبدأ منظر الأطفال تحت الجدران مألوفاً، ومـــع ذلك أصرت المرأة على البقاء ومع شدة الأزمة خرج الأخوة إلى الجبهة، وكانت الأخت تعيش مع أســـرة عراقية مجاهدة، لكن هذه الأسرة أيضاً قررت المغادرة، فقلنا لها يا أم عمار لم يبق أحد يقوم على شـــؤونك وأولادك هنا ووجودك يشكل عبئاً علينا، والله يكتب لك الأجر ويهديك، فقالت: الأمر لله.. أخرج ، لكن يبقى عمار يقاتل معكم.

وبالفعل بقي عمار مع أعمامه يخدمهم ويحرس ويقاتل معهم، ثم دخلت أحداث الفلوجة الثانيـــة، وحينمـــا كنت في حي نزال أمام جامع الفردوس حيث انتقل الى الفردوس عدد كبير من الشهداء – نحسبهم كذلك – مرّ عليّ عمار يركب سيارة بيك أب مسلّم، فقلت عمار حبيبي أين أنت الآن؟، قال: أنا يا عمـــي مـــع

الماون عند عمي أبي عمر، وانطلقت السيارة وهو يبتسم ويلوح بيده إليّ، وكانت آخر إبتسامة أراها من المبتسم.

فبعد يومين توقفت بالقرب من سيارة كيا بيك أب ثم قال صاحبها عمار هنا في السيارة، قلت أين؟ وأسقط فؤادي قال استشهد هاهو في نهاية السيارة، فقلت إنا لله وإنا إليه راجعون، وأصابني حزن وألم قطّع كبدي، ثم أبتعدت عن السيارة فلم أستطع أن أنظر إليه، وعلم الله أني حزنت عليه حزناً لا يوصف، بل إني لا أبالغ أني حزنت عليه أكثر من أبيه بكثير، ولا أدري ما السبب، هل هي شفقتي على الصبي، أم على أم الصبي والتي احتسبت ولدها وزوجها في سبيل الله مع غربة شديدة، وزاد عليها أنها لا تستطيع أن ترجع إلى أهلها في سوريا لأن العلويين المجرمين وضعوا أمراً بالقبض عليها وسجنوا اخيها عاما لأنها خرجت مع زوجها في العراق بعد تعهدها بعدم السفر، فجمعت من المآسي ما الله به عليم.

هذا على ضيق المأوى هنا في العراق، وتنقّل المسكينة من بيت إلى بيت، فلا تكاد تقيم في بيت أكثر من شهر لاسباب أهمها خوف أصحاب البيوت على أنفسهم أن يعلم أن عندهم أسرة عربيـة. أسـأل الله أن يحفظها وسائر أولادها وأن يخلفها في عمار وأبيه خيراً، والله المستعان.

وكتبه:

أبو اسماعيل المهاجر